بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(٢٠)

من آفات اللسان دعاء غير المنان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١]

أما بعد:.

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

أيها الناس :

إن للسان آفات وبلايا ومصائب ورزايا ، فكم من كلمة أفسدت على العبد دينه وهدمت إسلامه و أوبقت نفسه وغَلَّت عنقه في نار جهنم والعياذ بالله .

ومن أعظم الآفات وأدهى الدواهي وأعظم جرائر اللسان هو دعاء غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو ظلم عظيم وجريمة كبرى وناقض من نواقض الدين ومخرج لصاحبه من رحابه ونوره إلى ضيق الشرك وظلامه.

قال الله تعالى ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس:١٠٦]

قال العلامة السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى :﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾وهذا وصف لكل مخلوق, أنه لا ينفع ولا يضر, وإنما النافع الضار, هو الله تعالى.﴿ فَإِن فَعَلْتَ ﴾أي: دعوت من دون الله, ما لا ينفعك ولا يضرك﴿ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾أي: الضارين أنفسهم بإهلاكها. وهذا الظلم هو الشرك كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾فإذا كان خير الخلق, لو دعا مع الله غيره, لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره؟!! .ا.هـ [1]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف:٦]

---

(١) . عند تفسيره لسورة [يونس:١٠٦]

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ ﴾أي لا أحد أضل وأجهل﴿ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وهي الأوثان﴾. ﴿ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ ﴾يعني لا يسمعون ولا يفهمون ، فأخرجها وهي جماد مخرج ذكور بني آدم ، إذ قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التي تُخدم..ا .هـ [١]

فلعمر الله لقد خدموها وعبدوها وعظموها أعظم من تعظيم الملوك والأمراء.

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى : أي: لا أضل ممن يدعو أصناما، ويطلب منها ما لا تستطيعه إلى يوم القيامة، وهي غافلة عما يقول، لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش؛ لأنها جماد حجَارة صُمّ.ا.هـ [٢]

فبالله أي ضلال أعظم ممن يدعو عاجزا غير قادر على كشف ضره أو تحويله

كما قال الله سبحانه ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ ﴾ [الإسراء:٥٦]

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن المعبودين من دون الله الذين زعم الكفار أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ، ويشفعون لهم عنده لا يملكون كشف الضر عن عابديهم أي إزالة المكروه عنهم ، ولا تحويلاً أي تحويله من

(١) . عند تفسيره لسورة [الأحقاف:٥،٦]

(٢) . عند تفسيره لسورة [الأحقاف:٥،٦]

إنسان إلى آخر ، أو تحويل المرض إلى الصحة ، والفقر إلى الغنى ، والقحط إلى الجدب ونحو ذلك .ا.هـ [١]

و قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢٢]

فإذا كان هذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أمره الله جل وعلا ان يقول هذا لقومه وهو أفضل الخلق على الإطلاق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فمابالك بمن هو دونه بل لا يدانيه شيئا .

فيا سبحان الله أين ذهبت عقول هؤلاء الذين يدعون غيره وهو ضعيف حقير لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ويتركون دعاءه عز وجل وهو الذي بيده خزائن السماوات والأرض

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١]

وبيده ملك السماوات والأرض كما قال سبحانه ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : يمجد تعالى نفسه الكريمة، ويخبر أنه بيده الملك، أي: هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله. ولهذا قال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [ا.هـ [٢]

---

(١) . عند تفسيره لسورة [الإسراء: ٥٦]

(٢) . عند تفسيره لسورة [الملك: ١]

وقال سبحانه ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ ﴾ [آل عمران:٢٧]

ومن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُعَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَقَالَ " إِنَّ يَمِينَ الله مَلأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْفَيْضُ ، أَوِ الْقَبْضُ ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ." متفق عليه [١]

قال ابن الملك رَحِمَهُٱللَّهُ : "لا تغيضها نفقة"؛ أي: لا ينقصها إنفاقٌ وإعطاءُ رزق لمخلوقاته أبداً؛ لأن له القدرة على إيجاد المعدوم.

"سحاء الليل والنهار" من سح: إذا سال من فوق؛ أي: دائمةُ الصبِّ في الليل والنهار.ا.هـ[٢]

ومن حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُفي الحديث القدسي الذي يرويه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَعن ربه تعالى أنه قال " يا عبادي لو أن أولكم و آخركم

(١) . البخاري [٦٩٧٦] مسلم [٩٩٣]

(٢) . «شرح المصابيح لابن الملك» (١/ ١١٢)

وإنسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. أخرجه مسلم[١]

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى : يدل على سعة غنى الله عزّ وجل وسعة كرمه وجوده.ا .هـ [٢]

فهو الكريم سبحانه يريد أن يتكرم على عباده والمعطي يريد أن يعطيهم وذو الفضل يريد أن يتفضل عليهم جل وعلا .

بل إنه سبحانه يغضب على من لم يدعه جل وعز .

فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ "من لم يدع الله سبحانه غضب عليه". سنن ابن ماجة حسنه الألباني [٣]

قال المبارك فوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لأن ترك السؤال تكبر واستغناء وهذا لا يجوز للعبد، ونِعْم ما قيل :

الله يغضب إن تركت سؤاله وترى ابن آدم حين يسأل يغضب

وقال الطيبي: وذلك لأن الله يحب أن يسأل من فضله فمن لم يسأل الله يبغضه والمبغوض مغضوب عليه لا محالة.ا.هـ [٤]

---

(١) . باب : "تحريم الظلم" [٢٥٧٧]

(٢) . «شرح الأربعين النووية للعثيمين» (ص٢٤٩)

(٣) . حسن . ابن ماجة [٣٨٢٧] السلسة الصحيحة [٢٦٥٤]

(٤) . «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٥٣٠)

فيا سبحان الله كيف يترك العبد دعاء من هو الغني الكريم الذي يحب أن يُسأل فيبذل ويجيب من دعاه، ويدعو من يغضب إذا سئل بل ويبخل.

بل قد أمر جل وعلا عباده بسؤاله .

فقال تعالى ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء:٣٢]

وقال سبحانه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة:٣٥]

فهذا أمر منه جل وعلا بطلبه سبحانه وحده ودعاءه والتقرب إليه بذلك .

وقد حث ورغب بدعائه فقال سبحانه﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة:١٨٦]

بل ووعد سبحانه بإجابة من دعاه فقال جل وعلا ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر:٦٠]

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذا من فضله، تبارك وتعالى، وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة، كما كان سفيان الثوري يقول: يا مَنْ أحبُّ عباده إليه مَنْ سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس كذلك غيرك يا رب .رواه ابن أبي حاتم.ا.هـ[1]

(١) . عند تفسيره لسورة [غافر:٦٠]

ليس هذا فحسب بل إنه يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه يسأله ويدعوه أن يردهما صفرا خائبتين.

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ " إن الله رحيم حيي كريم يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه ثم لا يضع فيهما خيرا " أخرجه الحاكم وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ(١)

وعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال "إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين".أخرجه أبو داود وغيره وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى(٢)

فقبحا لعبد ترك من هذا أمره وخيره وفضله ، وتوجه إلى عاجزٍ فقيرٍ مثله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر:١٥]

شحيح بخيل ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النساء:١٢٨]

هلوعا منوعا قال خالقه عنه ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾ [المعارج:٢١]

هذه أوصافه وهو حيا له ملك وتصرف، فكيف إذا كان المدعو ميتا لا يسمع ولا يجيب وليس له ملك ولا تصرف

---

(١) . صحيح.الجامع الصغير [٢٦٤٩]

(٢) . صحيح. الترمذي [٣٥٥٦] صحيح الترغيب والترهيب - (٢ / ١٢٨)

وإنما هم في حقيقة أمرهم كما قال الله عنهم ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر:١٤]

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عند قوله تعالى﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾ أي إن تستغيثوا بهم في النوائب لا يسمعوا دعاءكم لأنها جمادات لا تبصر ولا تسمع. ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾إذ ليس كل سامع ناطقا، وقال قتادة : المعنى لو سمعوا لم ينفعوكم.ا.هـ [(١)]

وقوله تعالى ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر:١٤]

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج:٧٣]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى : حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ويتدبره حق تدبره فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه فكيف ما هو أكبر منه ولا يقدرون

(١) .عن تفسيره [سورة فاطر (٣٥): آية ١٤]

على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئا مما عليهم من طيب ونحوه فيستنقذوه منه فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه فلا أعجز من هذه الآلهة ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك وتجهيل أهله وتقبيح عقولهم والشهادة على أن الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة حيث أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات والإحاطة بجميع المعلومات والغنى عن جميع المخلوقات وأن يصمد إلى الرب في جميع الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإجابة الدعوات فأعطوها صورا وتماثيل يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات الآلهة الحق وأذلها وأصغرها وأحقرها ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء إلا هيتهم أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيئا واستلبه فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا عليه.ا.هـ [(١)]

وقال سبحانه ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحج:١٣]

فالذي يدعو غير الله من القباب والأوثان ، ويطلب منه الرحمة والمدد والغفران ، ويصرف إليه دعاء المسألة أو دعاء العبادة ؛ فقد شبه المخلوق بالخالق ، وسوى بينهما في صفات الكمال ، ووقع في شرك الإلهية ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ

(١) . إعلام الموقعين - (١ / ١٨١)

يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء:٩٨]

لأن دعاءهم يستلزم تشبيه من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا بمن كانت أزمة الأمور بيديه ومرجعها إليه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن،﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل:١٧]

فليس لمن دعا غير الله إلا الخيبة والخسران، والميت قد انقطع عمله، فهو محتاج إلى من يدعو له لا من يدعوه ويستغيث به ، ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء ما لم يشرع مثله للحي ؛ ومقصود الصلاة على الميت الاستغفار، والدعاء له ؛ وكذلك الزيارة، مقصودها الدعاء للميت، والإحسان إليه، وتذكير الآخرة، فبدل أهل البدع، والشرك قولاً غير الذي قيل لهم .

فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه، والشفاعة له بالاستشفاع به، والزيارة التي شرعت إحساناً إلى الميت بالدعاء له ، وإلى الزائر بالتذكر والإعتبار، بسؤال الميت، والإقسام به على الله، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء، الذي هو محض العبادة، وحضور القلب، عندها، وخشوعه، أعظم منه في المساجد

فمن يدع نبيا مرسلا أو ملك مقربا أو عبد صالحا فقد أضاع دينه وعقله لأنهم كما قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف:١٩٤]

وقوله تعالى﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر:١٣]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى : هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، من الأنداد والأصنام والأوثان، وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة، لا تملك شيئا من الأمر، ولا تضر ولا تنفع، [ولا تنصر] ولا تنتصر لعابديها، بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم؛ ولهذا قال: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الأعراف:١٩١]

أي: أتشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئًا ولا يستطيع ذلك... ثم قال تعالى: ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٢]

أي: لعابديهم ﴿ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ يعني: ولا لأنفسهم ينصرون ممن أرادهم بسوء ا.هـ[١]

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :ومن لا ينصر نفسه فهو لا يملك لها ضرًّا ولا نفعًا.ا.هـ [٢]

وتأمل كيف نسف الله شبه وتعلقات أهل الشرك به سبحانه في دعاء غيره وجَعْل الأنداد والشريك له في دعائه والإستغاثة به فقطع الله عنهم كل شبهة ونسف كل تعلق فقال سبحانه ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سبأ:٢٢]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك وسدتها عليهم أحكم سد وأبلغه فإن العابد إنما يتعلق

(١) . عند تفسيره لسورة [الأعراف:١٩٨]

(٢) . عند تفسيره لسورة [الفرقان:٣]

بالمعبود لما يرجو من نفعه وإلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه به وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود مالكا للأسباب التي ينفع بها عابده أو شريكا لمالكها أو ظهيرا أو وزيرا ومعاونا له أو وجيها ذا حرمة وقدر يشفع عنده فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه وبطلت انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السموات والأرض فقد يقول المشرك هي شريكة لمالك الحق فنفى شركتها له فيقول المشرك قد تكون ظهيرا ووزيرا ومعاونا فقال وماله منهم من ظهير.ا.هـ [١]

فإذ كان الله جل وعلا يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم وهو خير من وطئ الحصى أن يقول لأمته ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الجن: ٢٠-٢٢] .

فما بالك بمن هو دونه من الأولياء والصالحين وغيرهم والله المستعان.

وهوجل وعلا لامانع لما أعطى ولا معطي لما منع

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إذا رفع رأسه من الركوع قال " اللّهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللّهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد " . رواه مسلم [٢]

---

(١) . الصواعق المرسلة - (٢ / ٤٦١)

(٢) . باب: "ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع "[٤٧٧]

بل لو اجتمع من بأقطارها ما استطاعوا لأمره سبحانه دفعا ولا رفعا

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة يونس:١٠٧] .

وقال سبحانه ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعام:١٧]

وقال سبحانه ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة فاطر:٢]

وقال عز وجل ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة الأحقاف:٤]

وقال ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [سورة الزمر:٣٨]

فأمرك أيها العبد كله خيره وشره أوله وآخره في دنياك وأخراك إنما هو بيده سبحانه ولن يستطيع أحد إيصال خير إليك مهما صغر ولو بذل ما بذل ، أو إصابتك بسوء ولو فعل ما فعل.

ثبت عند الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : كنت خلف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يوما فقال " يا غلام ألا أعلمك كلمات احفظ الله

يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف " رواه أحمد وصححه الألباني وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رحمهما الله تعالى.[1]

كفانا الله شر أنفسنا وأعاذنا من مضلات الفتن ماظهر منها وما بطن .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علما وقضى بما يريد حكمة وحكما ، أنعم بالنعم ابتلاء وامتحانا فمن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل الرسل وخلاصة العبيد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان على الرشد والتسديد وسلم تسليما .

و دعاء غير الله كفر بالله عياذا بالله من ذلك .

قال سبحانه ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:١١٧]

---

(١) . صحيح.أحمد [٢٧٦٣] والترمذي [٢٥١٦]الصحيح المسند [٦٨٥]الجامع الصغير[١٣٩١٧]

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى : وأعظم الكافرين كفراً هو من يدعو مع الله إلاهاً آخر ، لا برهان له به ، ونفي الفلاح عنه يدل على هلاكه وأنه من أهل النار.ا.هـ[١]

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى : أي ومن دعا مع الله آلهة غيره، بلا بينة من أمره ولا برهان يدل على ما ذهب إليه، وهذا قيد ملازم، فكل من دعا غير الله، فليس له برهان على ذلك، بل دلت البراهين على بطلان ما ذهب إليه، فأعرض عنها ظلما وعنادا، فهذا سيقدم على ربه، فيجازيه بأعماله، ولا ينيله من الفلاح شيئا، لأنه كافر،﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١١٧] فكفرهم منعهم من الفلاح.ا.هـ[٢]

قال الشيخ حمد بن ناصر بن مُعمر – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : لا نعلم نوعاً من أنواع الكفر والردة ورد فيه من النصوص مثل ما ورد في دعاء غير الله بالنهي عنه والتحذير من فعله والوعيد عليه .ا.هـ [٣]

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف:١٠٦]... قال عطاء: هذا في الدعاء، وذلك أن الكفار ينسون ربهم في الرخاء فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء. ا.هـ [٤]

(١) . عند تفسيره لسورة [سورة المؤمنون:١١٧]

(٢) . عند تفسيره لسورة [سورة المؤمنون:١١٧]

(٣) . مجموعة الرسائل والمسائل النجدية . (٤/٦٠٢) .

(٤) . عند تفسيره لسورة [يوسف:١٠٦]

فاحذر على دينك أيها العبد أن تخرمه وتثلمه بهذا الأمر العظيم والذنب الوخيم أعاذنا الله وإياك منه .

ثم أي آفة أعظم ممن يقال لهم عند الموت بسبب ذلك ما بينه الله بقوله تعال﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأعراف:٣٧]

والكافر حابط عمله كما قال تعالى:﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [سورة الفرقان:٢٣]

وهو شرك بالله سبحانه وكفى به آفة وبلية أنه محبط للأعمال والله المستعان

قال الله سبحانه ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۚ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [فاطر:٤٠]

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ قُلْ ﴾يا أيها الرسول لهم: ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أي: أخبروني عن شركائكم ﴿ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ هل هم مستحقون للدعاء والعبادة.ا.هـ[1]

وقال سبحانه ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر:١٤]

(١) . عند تفسيره لسورة [فاطر:٤٠]

وقال﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [سورة الأعراف:٢٩]

قال الإمام ابن أبي حاتم : قوله ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الأعراف:٢٩] في شان الاخلاص أن لا يدعون إلها غيره وان يخلصوا له الدين والدعوة والعمل.ا.هـ [١]

فسماه الله عز وجل شركا لأنه- أي الدعاء- عبادة بل من أجلِّ العبادات وأعظم القربات لأمر الله سبحانه وتعالى به في غير ما آية ، وما أمر الله سبحانه وتعالى به أو أمر به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فهو عبادة ، والعبادة لا تكون إلا لله وحده سبحانه ومن صرفها لغيره سبحانه فقد أشرك لقوله صلى الله عليه وسلم كما من حديث ابي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ" قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته و شركه ".مسلم [٢]

وقد بين الله تعالى أن الدعاء عبادة في غير ما آية

كما في قوله تعالى﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف:٦]

وقال الله تعالى:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [سورة غافر:٦٠]

---

(١) .عند تفسيره لسورة [سورة الأعراف:٢٩]

(٢) . باب: "من أشرك في عمله [٢٩٨٥]

وقال عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [سورة مريم٤٨]

قال الله جل وعلا بعدها:﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[سورة مريم:٤٩] مريم

فسمى الله دعاءهم عبادة فقال{ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[سورة مريم:٤٩] .

ويقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَمن حديث النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ" الدعاء هو العبادة" قال ربكم{ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر:٦٠] "أخرجه أبو داود وصححه الوادعي والألباني رحمهما الله [١]

قال شيخ الإسلام ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى وهو يعدد أنواع الشرك : ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم.

وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده .ا. ه[٢]

(١) . صحيح.أبو داود [٨٣٨] الصحيح المسند [١١٥٩]صحيح الجامع [٣٤٠٧]

(٢) . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - (١ / ٣٤٦)

بل قد حكم الله سبحانه بشرك من يخلص الدعاء له وحد تعالى لا شريك له في حال شدته وإنما يشرك بالدعاء في حال رخائه فما بالك بمن هو مشرك في الحالين

فقال عز وجل: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة العنكبوت:٦٥]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى : أخبر تعالى عن المشركين أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له، فهلا يكون هذا منهم دائما، ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [سورة العنكبوت:٦٥] كقوله ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ [الإسراء: ٦٧]. وقال هاهنا: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة العنكبوت:٦٥] .ا.هـ (١)

وقال تعالى ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النحل:٥٣]

وقال تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الإسراء:٦٧]

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : بين جل وعلا في هذه الآيات الكريمة : أن الكفار إذا مسهم الضر في البحر ، أي اشتدت عليهم الريح فغشيتهم أمواج البحر كأنها الجبال ، وظنوا أنهم لا خلاص لهم من ذلك ضل عنهم . أي غاب عن أذهانهم وخواطرهم في ذلك الوقت كل ما كانوا يعبدون من دون الله جل وعلا . فلا يدعون في ذلك الوقت إلا الله جل وعلا وحده . لعلمهم أنه لا ينقذ من ذلك الكرب وغيره

(١) . عند تفسيره لسورة [سورة العنكبوت:٦٥]

من الكروب إلا هو وحده جل وعلا ، فأخلصوا العبادة والدعاء له وحده في ذلك الحين الذي أحاط بهم فيه هول البحر ، فإذا نجاهم الله وفرج عنهم ، ووصلوا البر رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر . كما قال تعالى :﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء:٦٧]ا.هـ (١)

فإذا حكم الله عليهم بالشرك وهذا حالهم فما بالك بمن يشرك بالدعاء في حال نعمة الله عليه ، ونقمته وفي شدته ورخائه والله المستعان .

ثم هو أيضا – أي دعاء غير الله – من أسباب العذاب والعياذ بالله

قال الله سبحانه وتعالى﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [سورة الشعراء:٢١٣]

ومادام قد حكم الله سبحانه بكفر وشرك من يدعو من دون الله فلا بد أنه معذب لأن المشرك لا يدخل تحت رحمة الله سبحانه وتعالى بل هو يائس من رحمة الله والعياذ بالله

قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [العنكبوت:٢٣]

وقال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء:٤٨]

وقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء:١١٦]

---

(١) . عند تفسيره لسورة [الإسراء:٦٧]

فإن لم يغفر الله له فلا شك ولا ريب أنه معذب والعياذ بالله .

بل ولا يلج الجنة لأنها لا يد خلها أحد إلا برحمة الله تعالى ورحمة الله تعالى بعيدة عن المشرك

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُقال : قال رسول الله رَحِمَهُٱللَّهُ :" لن ينجي أحدا منكم عمله " قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : " ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمته فسددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا " متفق عليه وهذا لفظ البخاري [١]

بل الله يقول سبحانه ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة المائدة:٧٢]

والأدلة في تحريم دعاء غير الله تعالى قد بلغت مبلغ التواتر المفيد للقطع وصار تحريم ذلك من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة والمقطوع بها في شريعة الإسلام وصارت في الأمة أوضح من شمس النهار.

فأي آفة أعظم من هذه الآفة التي سمعتم ما ورد فيها من الآمور العظيمة و المخازي الوبيلة والعاقبة الشنيعة.

فاحذر على نفسك أيها المسلم منها وزم لسانك عن الوقوع فيها وحذر غيرك منها فإنها والله مهلكة .

---

(١) . البخاري [٦٠٩٨] مسلم [٢٨١٦]

أعاذني الله وإياكم من مضلات الفتن ماظهر منها وما بطن ومن شرور أنفسنا وزلات ألسنتنا إنه جواد كريم.والحمد لله رب العالمين.